

الفكر التربوي لدى ابن خزم في ضوء نظريته إلى الطبيعيات الإنسانية وتطبيقات التربوية

الدكتور صالح سلامة محمود البركاك
جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

المقدمة:

يعاني العالم العربي والإسلامي من مشكلات تربوية حقيقية، تظهر الحاجة إلى مراجعة شاملة للنظام التربوي العربي وفق فلسفة تربوية إسلامية تتطلبها واقعنا ومقتضيات المرحلة التي نمر بها، والتي يتحتم علينا فيها التمسك بقيمتنا وتراثنا وحضارتنا، وبعد الرجوع إلى الفكر التربوي الإسلامي الأصيل؛ من أجل بناء منظومة تربوية عربية إسلامية ليس مجرد رجوع إلى تراث ماضي يجب الحفاظ عليه، بل هو رجوع إلى مصدر حيوي متجدد، ومتطور على مر العصور والأزمان، يمتلك من المرونة في مبادئه وقواعده العامة المتعلقة بتنظيم الحياة البشرية ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان، ذلك بالإضافة إلى ما في هذا الرجوع من تأصيل للفكر التربوي العربي الحديث وربط لحاضر الفكر التربوي العربي بماضيه وتأكيد لشخصية الأمة العربية الإسلامية¹.

إن الحق والإنصاف يتطلب منا ربط حاضرتنا بماضينا والبناء عليه، فالتشتت الذي نعيشه بأفكارنا لا يصلح أساساً لبناء مرتفع، ولا بد لنا من الأخذ بأفكار السلف

1) عمر محمد التومي الشيباني: قضايا الإنسان " الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ " (دط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987 م، ص 13.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
أساساً؛ ونطور من خلالها أفكاراً لنا معاصرة؛ كي نصبح أصيلين في تفكيرنا، بدل
التقليد لأمم فافتنا في التقدم المادي.¹

لذلك عني المفكرون والعلماء المسلمون بدراسة الفكر التربوي الإسلامي نظراً لما
يواجهه من تحديات ومؤامرات معادية تستهدف طمس مساهمتها في الحضارة الإنسانية،
فلقد ترك علماء المسلمين الأوائل تراثاً فكرياً وتربوياً يجب أن نعتر به؛ لأنه يعكس
صورة الماضي؛ وبالتالي يضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل بقدر رجوعنا إليه
واستشهادنا به؛ وأن نأخذ منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة وقضايانا.²

ومن هؤلاء العلماء الأوائل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (384هـ/
994م)؛ الذي اتفقت كلمة القدماء والمحدثين على أنه من أشهر العلماء والفلاسفة في
عصره؛ فقد ترك تراثاً فكرياً عاماً، وتربوياً خاصاً وعميقاً، له وقعه، وتأثيره في الفكر
العربي الإسلامي، والعالمي.

وتشير المراجع أنه ترك نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة
في الفقه، والحديث، والأصول، والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ، والنسب،
وكتب الأدب، والرد على المعارضين.

وتتضافر كل الروايات على عظم منزلة ابن حزم العلمية، يقول صاعد الأندلسي
(462هـ-) وهو تلميذ لابن حزم-: "كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام،

(1) أحمد أبو هلال عرفات حجازي شبانه: "مدى تكرار المفاهيم الواردة في كتاب ابن سحنون التربوي في
الكتب التربوية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية: عمان- الأردن، 1987م، ص 3.

(2) عبد الغني عبود: في التربية الإسلامية، (دط)، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر، 1977م.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار.¹ ويؤكد
ابن حيان (469هـ) -وهو معاصر له- فيقول: "كان ابن حزم حامل فنون من
حديث، وفقه، وجدل، ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع
التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة"².

لهذا سوف يسعى هذا البحث لبيان الآراء التربوية لابن حزم وربطها بالحياة
المعاصرة.

مشكلة الدراسة: على الرغم من التراث الفكري والعلمي الضخم الذي تركه ابن
حزم الأندلسي؛ والذي يمتاز بالشمولية والموسوعية، والإنتاج الغزير، واشتماله على كم
هائل من القضايا الكبرى بما يستحق البحث، والتنقيب والدراسة، والتأصيل التربوي،
إلا أن المكتبة العربية ما زالت فقيرة إلى ما كتب عنه، إذا ما استثنينا ما كتب عن حياته
وأرائه الفقهية.

إن الكثير من مؤلفات وأفكار ابن حزم ما زالت بحاجة إلى الدراسة، والتحليل؛ لهذا
جاءت هذه الدراسة من أجل تسليط الأضواء على الفلسفة التربوية لدى ابن حزم
الأندلسي، ومعرفة أسس التقدم والتطور في فكرنا وثقافتنا؛ لأن دراسة التراث الفكري
لعلماء الأمة في أي زمن من أزمان الإسلام الزاهية ليست توقفاً عند الماضي، ولا هي
دعوة للعودة إلى الوراء بقدر ما هي محاولة للتعرف على أساس ثابت يمكن أن نركن
إليه في بناء أمتنا الحديثة.

(1) شمس بن أحمد أبي بكر بن خلكان: (ت681هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (دط)، (دن): القاهرة-
مصر، 1881م.

(2) ابن بسام أبي الحسن علي الششتري (ت542هـ). (1979): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (القسم
الأول)، (المجلد الأول)، ت إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت- لبنان، (دت).

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

تساؤلات الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما هو مفهوم الطبيعة الإنسانية عند ابن حزم الأندلسي (النفس والجسم، العقل والروح، الخير والشر، الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الوراثة والبيئة، والأخلاق؟

السؤال الثاني: ما هي التطبيقات التربوية للفكر التربوي عند ابن حزم في العملية التربوية والتعليمية (الأهداف التربوية، آداب المعلم، آداب المتعلم، المنهج الدراسي، طرائق التدريس)؟

السؤال الثالث: ما هي المبادئ التربوية المستنبطة من الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

1) التعرف على مفهوم الطبيعة الإنسانية لدى ابن حزم الأندلسي في مجالات النفس، والجسم، والعقل، والروح.

2) التعرف على التطبيقات التربوية للفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي في العملية التعليمية في مجالات: الأهداف، المتعلم، المعلم، المنهج، طرق التدريس.

3) التعرف على المبادئ التربوية لدى ابن حزم الأندلسي.

أهمية البحث والحاجة إليه:

1) إبراز الجوانب الإبداعية التي أسهم فيها العلماء المسلمون في مجال التربية والتعليم؛ فهناك الكثير من لا يعرف عن ابن حزم الأندلسي، ومؤلفاته، وفكره التربوي، والدور الحقيقي الذي قام به في التاريخ الإسلامي.

2) تمثل هذه الدراسة مساهمة تربوية، وفكرية بصورة معاصرة تسهل على الباحثين فهم الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي بسهولة ويسر؛ مما يثير الدافعية لدى

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
الباحثين للبحث والتنقيب في التراث العربي الإسلامي عن الأصول النظرية والتطبيقية
لفكر الأمة.

(3) إن هذا البحث محاولة للكشف عن قدرات وإمكانات العقل الإسلامي، وقدرته
على إنتاج منظومة تربوية معرفية لمواجهة التحديات على وفق مقتضيات الواقع آنذاك.

(4) تعد هذه الدراسة محاولة لتأصيل الفكر التربوي العربي الإسلامي لدى ابن حزم
الأندلسي في مواجهة ما تعانيه الأمة من تبعية فكرية نتيجة الغزو الثقافي الغربي الذي
أدى إلى تكوين أجيال لا تعرف أبرز علماء الأمة، وفكرهم التربوي.

(5) إبراز دور الفكر التربوي العربي الإسلامي لدى ابن حزم، فهناك كثيرون
يجهلون الجهود التي قدمها العرب المسلمون للحضارة والعلوم، وقد يكون أحد أسباب
هذا الجهل ندرة، وقلة الدراسات التي عنيت بهذا الجانب.

حدود الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث، سيتناول الباحث الفكر التربوي لابن حزم الأندلسي من
خلال مؤلفاته التالية: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "الإحكام في أصول
الإحكام"، "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية"،
"المحلى"، "ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"، "جمهرة
أنساب العرب"، "رسائل لابن حزم الأندلسي" (الجزءان: الأول والثالث).

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي البنائي¹، وفق الخطوات الآتية:

1- المنهج التاريخي:

قام الباحث بالرجوع إلى المؤلفات الخاصة لابن حزم الأندلسي المذكورة في حدود الدراسة وهي "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "الإحكام في أصول الأحكام"، "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية"، "المحلى"، "ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"، "جمهرة انساب العرب"، "رسائل لابن حزم الأندلسي" (الجزءان: الأول والثالث).

2- المنهج الوصفي:

قام الباحث بوصف الآراء والأفكار التي وردت في كتابات ابن حزم الأندلسي، وصفاً كيفياً في ضوء أسئلة الدراسة.

3- المنهج التحليلي:

قام الباحث بتحليل الآراء والأفكار والنصوص التي تركها ابن حزم الأندلسي، وتم التحليل وفق نظرة تتسم بالدقة والشفول، إذ يقوم الباحث بقراءة النص قراءة مستفيضة لكي يتسنى له التحليل على وفق أهداف البحث، وليتوصل من خلال التحليل إلى بناء آراء وأفكار تتسم وطبيعة البحث.

(1) ديو بولذب، فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وسليمان الخضري الشيخ وطلعت منصور غبريال، مراجعة سيد أحمد عثمان، (دط)، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة- مصر، 1985م.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلافة محمود البركات

١٥٥

4- المنهج البنائي:

ويتم ذلك ببناء الأفكار والمبادئ، إذ يقوم الباحث بجمع الجزئيات وتركيبها وفق عناوين البحث للتوصل إلى المفاهيم والأفكار المراد توضيحها.
دراسات سابقة:

اطلع الباحث على عدد من الدراسات التي تناولت الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي ويلاحظ أن هذه الدراسات تناولت "ابن حزم" فقيهاً وكاتب سيرة، ومؤرخاً، وعالم أديان، وأديباً وشاعراً، والقليل من الدراسات تناولته من منظور تربوي، وقد أفاد منها في مجال دراسته ويمكن عرض هذه الدراسات وفق تسلسلها الزمني:

أجرى التكريتي¹ (1976): دراسة بعنوان "ابن حزم بين الدين والفلسفة في كتاب الأخلاق" هدفت إلى توضيح مزج ابن حزم في معالجته للقضايا الأخلاقية، بين ما تمليه عليه الشريعة الإسلامية، وبين ما يوافقها من الفلسفة من القضايا التي وردت في كتابه "الأخلاق". وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي متناولاً القضايا التي وردت في الكتاب وأظهرت الدراسة أن كتاب "الأخلاق" لابن حزم مليء بالحكم، والأفكار الأخلاقية، وأنه قد كتب بأسلوب أدبي، مزج فيه الآراء الدينية بالفلسفة، مع سيطرة الروح الدينية على الكتاب، فقد حث على طلب العلوم، إذ إن العلوم حسب رأيه تزيد العقل جودة، خاصة العلوم التي تقرب من الله تعالى؛ لأن العقل لا ينفع إن لم يؤيد بتوفيق الدين، كما أنه استعمل قوى النفس الناطقة، والغضبية، والشهوانية بحكمة دينية.

1) ناجي التكريتي: ابن حزم بين الدين والفلسفة في كتابه الأخلاق، الحكمة (ع1)، 1976م.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
وقام يفوت سالم¹ (1982) بدراسة بعنوان: "تصنيف العلوم لدى ابن حزم" هدفت
إلى التعرف على تصنيف ابن حزم للعلوم، واتبع الباحث المنهج التحليلي لنصوص ابن
حزم في رسائله ليتعرف على تصنيفه للعلوم، وبينت الدراسة أن ابن حزم لم يكن
يخصي العلوم المشهورة لغصره، بل يفحص فائدتها الدينية والدنيوية، ويرى أن أفضل
العلوم ما أدى إلى الفوز في دار البقاء، وأن الإنسان إذا اشتغل عن علم الشريعة بعلوم
أخرى فقد أثر ما هو أدنى منفعة، وكان تصنيفه للعلوم كالآتي:-

1- علوم شريعة الإسلام: القرآن الكريم، الحديث الشريف، الفقه، والكلام،
النحو، اللغة، الأخبار.

2- علوم سائر الأمم: (محمودة اقترنت بالشريعة) وهي: علم الهيئة، الرياضيات،
الفلسفة، الطب، الشعر، الخطابة.

3- علوم خارج دائرة العقل والشرع: (مذمومة) هي: السحر، الطلسمات،
الكيمياء، الكواكب والقضاء بالنجوم.²

وأجرى حسان محمد³ (1984) دراسة بعنوان: "ملامح الفكر التربوي عند ابن
حزم"، هدفت إلى دراسة ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم، واستخدم الباحث المنهج
الوصفي التحليلي، فعرض أهم ملامح شخصية ابن حزم، وملامح الفكر التربوي عنده،

(1) سالم يفوت: تصنيف العلوم لدى ابن حزم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (دط)، الرباط: جامعة
محمد الخامس 1982م.

(2) المرجع نفسه، ص 7-81.

(3) حسان محمد: ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم، مجلة الفيصل (ع82) (س7)، الرياض: دار الفيصل
الثقافية، 1984م.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
وبخاصة موقفه من الدعوة لتبسيط العلم ونشره، وآداب مجالس العلم، وتصنيف العلوم،
وتوصلت الدراسة إلى أن ابن حزم دعاء إلى عدد من المبادئ أهمها:

- الدعوة إلى تبسيط العلوم.
- الدعوة إلى تشجيع العلم بتقلص الهبات.
- الدعوة إلى نشر العلم.
- التأدب في مجالس العلم.
- الميل والدافع نحو التعلم.
- اعتماد منهج البحث العلمي لمطالبتة بالموضوعية والحرص والتدقيق.
- محورية وتكامل العلوم وترابطها.

وقام محمد إبراهيم رجب¹ (2000) بدراسة بعنوان "الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي" واتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي فعرض أهم الجوانب الأخلاقية والنفسية لشخصية ابن حزم الذي كان لها أثرها في فكره الأخلاقي، وتناول منهجه الظاهري، وأهم آرائه الفلسفية، وأهم المرتكزات الأساسية للأخلاق عنده. وتوصلت الدراسة إلى أن ابن حزم فيلسوف له منهج فلسفي متكامل، وأن الظروف الاجتماعية، والنفسية، والأحداث السياسية التي عاشها كان لها أثرها الفعال فيه، كما توصل إلى أن ابن حزم قد ربط العقل بالأخلاق، يعدّ العقل أداة تمييز الخير من الشر، فضلاً عن أن تقسيمه للعلوم وحثّه على التزود بها كانت لها غاية أخلاقية هي تحقيق السعادة، وأن مصدر القيم الأخلاقية إلهي، والفضيلة عنده هي اتباع ما أمر الله به، أمّا الرذيلة فهي ارتكاب ما نهى الله عنه .

(1) محمد إبراهيم رجب عبد الله: الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2000م.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
ويلاحظ من عرض الدراسات السابقة أنها تباينت من حيث الأهداف، مثل دراسة
(التكريتي) التي هدفت إلى تبين مزج ابن حزم في معالجته للقضايا الأخلاقية بين الدين
والفلسفة، أما دراسة (يفوت) فقد حاولت التعرف على تصنيف ابن حزم للعلوم،
ودراسة (حسان) هدفت إلى دراسة الفكر التربوي عند ابن حزم، ودراسة (محمد)
هدفت إلى تعرّف الفكر الأخلاقي عند ابن حزم، واتبعت أغلب الدراسات السابقة
المنهج التاريخي التحليلي، ويلاحظ أن معظم الدراسات أغفلت الطبيعة الإنسانية في
الفكر التربوي لابن حزم، وهذا ما تحاول هذه الدراسة بيانه.

الأسس الفلسفية للفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي في ضوء النظرة إلى
الطبيعة الإنسانية:

- أولاً: النظرة إلى الطبيعة الإنسانية

من الصعب على الإنسان أن يقف على الفكر التربوي لدى مفكر أو فيلسوف،
دون أن يتعرف على رأيه في طبيعة الإنسان؛ ذلك لأن أية فكرة تربوية لم توضع إلا
للإنسان، والإنسان مادة التربية الأولى، ومحور عمل التربية بأكملها، ولأن التنظير
التربوي يقوم أساساً على فهم أبعاد الطبيعة الإنسانية ذات الصلة الوثيقة بالتربية،
والوقوف عليها يعني القدرة على استغلالها وتوظيفها بما يكفل تحقيق الذات ورفق
المجتمع.

والمفكرون في نظرهم إلى طبيعة الإنسان على خلاف؛ إذ نظروا إليها من زوايا
متعددة منها:

1.1- النفس - الروح - الجسد:

جاءت قضية الطبيعة الإنسانية في مجمل القضايا الكبرى التي تصدى لها ابن حزم
بالبحث والتحليل؛ لدورها العملي والأخلاقي في الحياة وما ينسحب عليه من سعادة

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
 وشقاء في الدنيا والآخرة. فابن حزم يقر بأن "النفس"، و"الروح" اسمان مترادفان لمعنى واحد؛ ومعناها واحد، وأن من زعم بأن الروح غير النفس قد زعم بأنهما شيان، وقال ما لا برهان له بصحته وهذا باطل، فمن لا برهان له فليس صادق¹.
 وقد ذكر ابن حزم عدة صفات للنفس استخلصها الباحث من مؤلفاته، من كتب ورسائل وأبرز هذه الصفات هي:

1. وجود النفس سابق لوجود الجسد؛ فالأنفس مخلوقة من عهد آدم عليه السلام، مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم - على جميعهم السلام- وقبل أن يدخلها في الأجساد.

2. النفس نوع للجوهر؛ فهي مركبة من موضوع ومحمول، وهي قائمة بنفسها.

3. النفس جوهر مادي لأنها جسم طويل عريض عميق ذات مكان.

4. للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك وإذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم.

5. النفس لا تتغذى ولا تنمو، والنفس تموت²؛ لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾³، وهذا الموت هو فراقها للجسد فقط؛ برهان ذلك قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾⁴. وابن حزم متيقن من وجود هذه الصفات

(1) أبي محمد علي بن أحمد بن حزم: المحلى بالآثار، ت أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة: القاهرة- مصر 1347هـ، ج1.

(2) المصدر نفسه، ص74-90.

(3) الأنبياء: 35.

(4) الأنعام: 93.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

للنفس إذ قال في رسالته "فصل في معرفة النفس بغيرها": "أطلت الفكر في نفسي، بعد تيقني أنها المدبرة للجسد، والحساسة الحية العاقلة المميّزة العالمة".¹

ويذكر أن للفظ "الإنسان" استعمالات ثلاثة:

1. يراد به النفس فقط لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾².

2. يراد به الجسد فقط لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾³.

3. يطلق على النفس والجسد معاً فنقول في الحي هذا إنسان⁴.

واستمد ابن حزم نظريته هذه للنفس أو الروح الإنسانية من أصوله الإسلامية، ومن اطلاعه على الفكر اليوناني.

ويشير ابن حزم إلى أن النفس الإنسانية تتركب من قوى مختلفة كالعدل الذي يزين لها الإنصاف، والغضب والشهوة اللذين يزينان لها الجور، والفهم الذي يجذبها إلى الحق والجهل الذي يطمس عليها الطرق، ومنها قوة التمييز التي سمّاها الأوائل: "المنطق" فجعل لها خالقها سبيلاً إلى فهم خطابه عز وجل، ومنها قوة العقل التي تعين النفس على نصر العدل.⁵

(1) ابن حزم (1980): رسائل ابن حزم الأندلسي، (ط1)، ت إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت- لبنان، 1980م، (443/1).

(2) المعارج: 19-21.

(3) الرحمن: 14.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (5/65-66).

(5) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة العاصمة: القاهرة- مصر، 1925م، ج1.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

وعن علاقة النفس بالجسد يرى ابن حزم أن علاقة النفس بالجسد لا تزيد عن أن تكون واحدة من ثلاث: إما أن تكون مخللة لجميع الجسد من خارج كالثوب، وإما أن تكون متخللة لجميعه من الداخل، كالماء في المدرة، وإما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ، وتكون قواها منبثة في جميع الجسد¹؛ وأن سبيل اتصال النفس بالبدن الذي تحل فيه، فعلى سبيل المجاورة فقط لأن المازجة بين جسمين لا تكون البتة.²

2.1- النظرة إلى العقل:

لم يهمل ابن حزم العقل في تفسيراته وتأويلاته، فهو يعترف بأهمية العقل إلا أن تلك الأهمية لا تعطي العقل ثقة كاملة بحيث تؤدي به تلك الثقة إلى التقليل من أهمية "الشرع" أو "النص"، وحدّ العقل عند ابن حزم هو: استعمال الطاعات والفضائل واجتناب المعاصي والرذائل؛ فالعقل طاعة واللاعقل معصية، وقد نصّ الله تعالى في كتابه على أن من عصاه لا يعقل³: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁴.

وقد عدّ ابن حزم العقل معيار الحكم على القوى التي نكتسب من خلالها المعرفة وهي: "الحس، والظن، والتخيل"، فخداع الحواس يستبان بالعقل كما أنه قوة تميز بها

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (78/5).

(2) ابن حزم: الأصول والفروع، (ط1)، ت محمد عاطف العراقي، دار النهضة المصرية: القاهرة- مصر، 1978م، ص 167.

(3) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 378.

(4) الملك: 10.

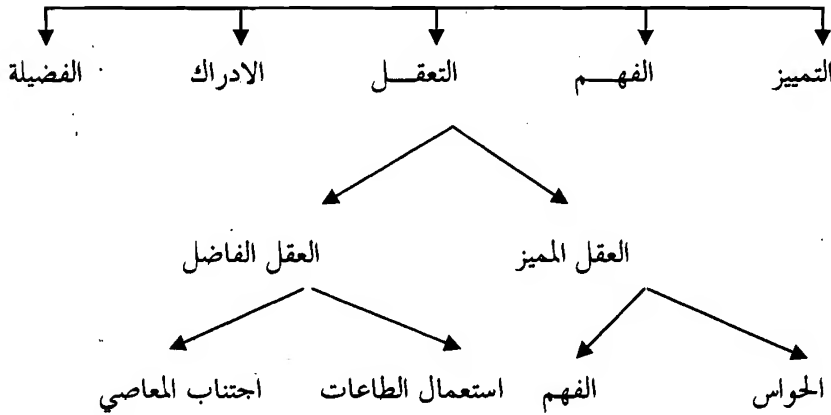
الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
 النفس الأشياء، والقوة التي ترجع إليها في صحة الديانة، وصحة العمل الموصلين إلى
 فوز الآخرة، وبه نعرف حقيقة العلم، ونخرج من ظلمة الجهل¹.
 فالعقل عند ابن حزم قوة نفسية يرتبط بها التمييز والفهم والتعقل والإدراك
 والفضيلة، وهو نوعان:

1. العقل المميز؛ ووظيفته تمييز الأشياء المدركة بالحواس وبالفهم، وحدود هذا العقل
 معرفة صحة الديانة وصحة العمل الموصلين إلى فوز الآخرة، وصحة العلم.
2. العقل الفاضل ووظيفته استعمال الطاعات، واجتناب المعاصي؛ فهو استعمال ما
 مَيَّز الإنسان فضله كما هو موضح في المخطط (1).

مخطط (1)

أنواع العقل عند ابن حزم .

العقل قوة نفسية يرتبط بها



1) الإحكام في أصول الأحكام: مصدر سابق، ص 27.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
كما يرى بأن العقل لا يحرم شيئاً ولا يوجب؛ لأنه عرض محمول في النفس ومن
المحال أن تحكم الأعراض وتوجب وتشرع وإنما في العقل معرفة الأشياء على ما هي
عليه من كفياتها وكمياتها¹.

3.1- النظرة إلى الخير والشر.

انطلق ابن حزم في تحديد موقفه من الخير والشر من مسلمة؛ هي الإقرار بأن الله
تعالى هو المقوّي على فعل الخير والشر؛ فإنه به عزّ وجلّ كان الخير والشر، وإذا لولا هو
لم يكن خير ولا شر فهو كونهما وأعان عليهما وأظهرهما².

فإن الله وحده - حسب رأي ابن حزم - هو الذي يقرر ما هو خير وما هو شر
لذلك فإن الأشياء لا توصف بأنها خير لذاتها، أو شر لذاتها، وإنما الذي يعطيها هذه
الصفة هو الشرع الإلهي، يقول: "لا قبح لعينه، ولا حسن لعينه البتة، وإنه لا قبيح إلا
ما حكم الله تعالى بأنه قبيح، ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن"³.

وإن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضلته على الناس، وإن كل سيئة
يصيب الله تعالى بها إنساناً في دنياه، فمن قبل نفس المصاب بها، وكل ذلك من عند الله
تعالى جملة⁴، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا

(1) ابن حزم: رسائل لابن حزم الأندلسي (المجموعة الأولى)، ت. إحسان عباس، مكتبة الخانجي: القاهرة-
مصر، 1970م، ص 29.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (96/3).

(3) المرجع نفسه، (101-66/3).

(4) ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي (الجزء الثالث)، تحقيق إحسان عباس، (ط2)، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر: بيروت- لبنان، 1987م، ص 43 - 46.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٢٧﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ۚ¹

4.1- الجبر والاختيار.

كان ابن حزم من المؤيدين لمبدأ الحرية والاختيار، والإرادة والتمييز، فالله تعالى خلق فينا علماً تعرف به أنفسنا الأشياء على ما هي عليه، وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينا مما يسمى فعلاً لنا فخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه، فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون وكارهون متصرفون علماً. ويشير ابن حزم إلى أن الفعل الإنساني لا يكون نتيجة الاستطاعة؛ وحدها بل لا بد من زوال الموانع، وتوفيق الله تعالى (فالقوة التي ترد من الله سبحانه وتعالى على العبد فيفعل بها ما ليس طاعة ولا معصية تسمى عزمًا، أو قوة، أو حولاً لهذا يقال: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، بهذا أشار إلى توافر جملة شروط لتكون استطاعة الفرد لفعل شيء وهي: صحة الجوارح، أو الأدوات التي يتم بها الفعل، ارتفاع الموانع، إرادة الفعل التي تدفع الفرد إلى اختيار فعل ما والسعي إليه².

2- الفرد والمجتمع.

استطاع ابن حزم أن يوفق بين دعوته إلى الاجتماع البشري وبين دعوته إلى حياة العزلة، ونصح الفرد بعدم الاختلاط بالآخرين إذا كان لأجل اللهو واللعب، إذ إن الاختلاط قد ينتج للفرد هموماً وآثاماً، أما إذا كانت الغاية منها طلب العلم، أو عمل الخيرات وتعلم الفضائل فتكون ضرورة لا بد منها إذ يقول: "من جالس الناس لم يعدم

(1) النساء: 78-79.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (30-29/3).

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
هما يؤلم نفسه، وإنما يندم عليه في معاده، والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد
عنهم، ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها"¹.

والحياة في نظره تعاون توجب على كل فرد أن يكون فيه عضواً مفيداً في مجتمعه؛
يقول ابن حزم: "إن من العجب من يبقى في هذا العالم دون معاونة لنوعه على
مصلحة، أما يرى الحراث يحرث له، والطحان يطحن له، والنساج ينسج له، والخياط
يخيط له، والبناء يبني له، وسائر الناس كل متولّ شغلاً، له فيه مصلحة وبه إليه ضرورة؟
أفما يستحي أن يكون عيالاً على كل العالم لا يعين هو أيضاً بشيء من المصلحة؟"².

3_ الوراثة والبيئة:

يرى ابن حزم أن الإنسان يولد على الفطرة لا يعلم من أمر دينه ومعاشه، لذلك
يقول المولى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾³. ويؤكد على
دور الوراثة في سلوك الفرد، ولأن الإنسان لا يستطيع غير ما يفعل مما خلقه الله عز
وجل فيه فنجد الحافظ لا يقدر على تأخر الحفظ، والبليد لا يقدر على الحفظ، والبخيل
لا يقدر على البذل، وهكذا في كل شيء فصَحَّ أنه لا يقدر أحد إلا على ما يفعل بما
يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله⁴. فالطبائع والعادات خلقها الله عز وجل، فرتب
الطبيعة على أنها لا تستحيل أبداً، ولا يمكن تبديلها عند كل ذي عقل كطبيعة الإنسان
بأن يكون ممكناً له التصرف في العلوم والصناعات إن لم تعترضه آفة، وطبيعة الحمير

1) رسائل ابن حزم الأندلسي، (ج2+3): مرجع سابق، ص 348.

2) ابن حزم، رسائل لابن حزم الأندلسي (المجموعة الأولى): مرجع سابق، ص 82 - 83.

3) النحل: 78.

4) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (42/3).

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود الركات
والبغال بأنه غير ممكن منها ذلك¹. فهو بهذا لا ينكر دور البيئة في السلوك حيث أن
للعادة والاعتقاد الديني تأثيراً على طبائع البشر.

4- النظرة إلى الأخلاق.

يؤكد ابن حزم على الاقتداء بالرسول ﷺ واستعمال أخلاقه وسيرته ما أمكن،
كما يذكر أن أصول الفضائل أربعة هي: "العدل، والفهم، والنجدة، والجود"، وأصول
الردائل أربعة هي: "الجور، والجهل، والجبن، والشح"، وليست هناك فضائل في ذاتها،
ولا ردائل في ذاتها، لأن الله تعالى هو الذي حدد الحسن والقبح في الأشياء، وأن
الفضيلة وسيطة بين الإفراط والتفريط فكلا الطرفين مذموم والفضيلة بينهما محمودة².
ويؤمن ابن حزم بضرورة نقد النفس ليتعرف المرء على عيوبه في الأخلاق ليقوم
بمداواتها، ويشير إلى عدة طرائق يمكن أن تتبع لعلاج عيوب الأخلاق (تحويل السلوك)
ومنها:

1. رياضة النفس أي مجاهدتها (مقاومة إغراء النفس).

2. اتخاذ الأنبياء صلوات الله عليهم والأفاضل من الحكماء وذوي السمعة الجيدة قدوة
في أفعالهم وأقوالهم .

3. الاستمرار في العلاج حتى يتعود الصواب³.

التطبيقات التربوية للفكر التربوي في العملية التربوية عند ابن حزم.

كانت آراء ابن حزم التربوية تمثل بنياناً متكاملأً متسقاً مع فلسفته العامة، وأفكاره
واضحة من خلال كتاباته إذ اتسم أسلوبه بالبساطة والوضوح، وعلى الرغم من أنه لم

(1) المرجع السابق، (16/5).

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 345، 379، 401.

(3) المصدر نفسه، ص 354.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
يكن مربياً أو مؤدباً محترفاً وأن معظم تأليفه وإنتاجه كان في الفقه والسيرة والتاريخ
والأدب إلا أن ذلك لم يمنعه من كتابة بعض الإشارات في ما يتعلق بالأهداف التربوية،
والمعلم، والمتعلم، والمنهج الدراسي وطرائق التدريس كآلاتي:

1- نظرة ابن حزم للتربية:

يرى ابن حزم أن التربية " معناها، وثمرتها، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو
شيئاً غير إصلاح النفس؛ بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى
سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمتل و الرغبة وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في
الشرعية"¹.

2- نظرة ابن حزم للأهداف التربوية:

يشير ابن حزم إلى أن تحصيل العلم من الأمور التي تميز الإنسان عن الحيوان ويعد
هذا هدفاً رئيساً لطلب العلم، إذ يخرج به من جملة أشباه البهائم، ومن هنا كان العلم
مطلوباً لذاته لا من أجل منصب أو جاه، فيجب أن يهدف طالب العلم إلى الفوز في
الآخرة بقوله: "من طلب العلم ليفخر به، أو ليمدح به، أو ليكتسب به مالاً أو جاهاً،
فبعيد عن الفلاح لأنه ليس له غرض في التحقيق فيه، وإنما غرضه شيء آخر غير
العلم"².

ومما يحققه العلم لطالبه مكانة اجتماعية قوامها الهيبة والاحترام إذ يقول بأنه: "لو لم
يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويحبونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك،
لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه"، كما يحقق العلم الصحة النفسية والتوجيه المفيد
لطاقاته فيقول: "ولو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (94/2).

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 76-77.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
الوساوس المضنية ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس،
لكان ذلك أعظم داع إليه"¹.

2- آداب وكفايات المعلم.

يشير ابن حزم إلى أن مهنة التعليم مهنة لها أصولها ولا ينبغي أن يدخل فيها الدخلاء
فهناك قوم يظنون أنهم من أهل العلم وليسوا من أهله فيقول: "لا آفة على العلوم وأهلها
أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون،
ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون"². كما أشار ابن حزم إلى مجموعة من الآداب التي
يجب أن يتمسك بها المعلم وهي:

1- الرضى بكفاف العيش والقناعة بدون إراقة لماء الوجه لدى سلطان.

2- ألا يرضى بالغش والتمويه.

3- عدم الازدراء بسائر العلوم وتنقيصها.

4- ألا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه.

5- ألا يكتنم علمه فيحصل هو ومن لا علم له في منزلة واحدة إذ كلاهما غير
مستعمل للعلم.

6- ألا يتكلم في علم قبل أن يحكمه.

7- أن يتقي الله تعالى في سره وجهره³.

8- ألا يخرج من مسلمة إلى أخرى قبل تمام الأولى وبيانها.

(1) المصدر السابق، ص 343.

(2) المصدر نفسه، ص 345.

(3) ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، ت إحسان عباس، (دط)،
دار مكتبة الحياة: بيروت- لبنان، 1959م، ص 196.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

9- عدم التبحر في علم إلا على سبيل الاستفهام والتزيد.

10- أن يتطابق قوله وفعله¹.

3- آداب المتعلم:

يوجه ابن حزم المتعلم إلى أن لا يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وهو قادر عليها وأوصاه بدراسة العلوم الغامضة لأنها تزيد العقل القوي جودة²؛ وأن يطلب العلم لينتفع به طالبه، وينتفع به غيره في داره العاجلة وداره الآجلة التي هي محل قراره، وأشار إلى ضرورة التعب في طلب العلم، ووصف طول الطريق إليها بقوله: " الوقوف على الحقائق لا يكون إلا بشدة البحث، وشدة البحث لا تكون إلا بكثرة المطالعة والنظر في طبائع الأشياء وسماع حجة كل محتج والنظر فيها"³؛ أي إننا نصل إلى الحقيقة من خلال الاستماع إلى حجة العلماء، والانتباه إلى حالة تسترعي الانتباه يذكرها أهل العلم ومعرفة مميزاتها، ثم المطالعة حولها والبحث عن هذه الحالة كأن تستوجب تجربة ثم الوصول إلى النتائج وبها نقف على الحقائق.

وفيما يتعلق بمجالس العلم فقد بصّر المتعلم بان لها آداباً خاصة بها أبرزها:

1- أن يقبل المتعلم برغبة صادقة في التعلم وبنشاط على طلب العلم وأن يهتم

بالسماع والقراءة والكتاب⁴.

(1) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 413.

(2) المصدر نفسه، ص 344.

(3) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية: مرجع سابق، ص 198.

(4) ابن حزم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، (دط)، دار الثقافة: بيروت- لبنان، 1970م، المجلد الثالث.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

2- ألا يكون حضوره إلا حضور مستزید علماً وأجراً لا حضور مستغنى، طالب

عشرة.

3- أن يسكت سكوت الجهال فيحصل على أجر النية في المشاهدة وعلى الثناء

بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودة من مجالس¹.

4- نظرة ابن حزم إلى المنهج الدراسي:

حدد ابن حزم المواد التي يجب على الطفل أن يتعلمها بعد مولده بخمس سنين وتشتمل على " الخط، والكتابة، القراءة، وحفظ القرآن الكريم، النحو، علم اللغة - ويقوم على دراسة الألفاظ ودلالاتها اللغوية- الشعر، علم الحساب، علم النجوم، المنطق، والطبيعات؛ ويدرس في المنطق: الأجناس، والأنواع، والقضايا، والمقدمات، والنتائج، وأساليب التفكير السليم ليعرف ماهية البراهين ويقف على الحقائق ويميزها من الأباطيل، ويدرس الطبيعات وأحوال الجو وتركيب العناصر في الحيوان والنبات والمعادن، ويقرأ كتب التشریح ليقف على محكم الصنعة وتأثير الصانع وتأليف الأعضاء، والتاريخ وله مكانة مهمة في نظر ابن حزم إذ يقول إنه علم ذو خصائص وغايات متميزة فوجه المتعلم إلى دراسة أخبار العالم الماضية والحاضرة وأخبار الملوك، ما بعد الطبيعة².

ومن خلال هذا البرنامج التعليمي نلاحظ أنه كانت لابن حزم متطلبات في المنهج

التعليمي ينبغي مراعاتها وهي:

1- أن تساعد المواد الدراسية المتعلم على تكوين قواعد خلقية تؤدي إلى تهذيبه.

(1) رسائل ابن حزم الأندلسي: ميسر سابق، ص 411.

(2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 63-79.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

2- يوجب الاهتمام بالعلوم النافعة للمسلمين لذا يجب البدء بالعلوم التي تعد وسائل لغيرها كالعلوم اللسانية فيقول: "الواجب أن يهتم المرء بالعلوم الممكن تعلمها التي قد ينتفع بها في الوقت، وأن يؤثر منها بالتقدم ما لا يتوصل إلى سائرته إلا به ثم الأهم فالأهم والأنتفع فالأنتفع"¹.

3- أن تخضع المواد الدراسية لبراهين العقل وملاحظة الحواس وتكون قابلة للتجريب.

4- أن تنتقى المواد المناسبة التي تعطي أفضل النتائج التربوية.

5- نظرة ابن حزم لطرائق التدريس:

أكد ابن حزم استعمال طريقة الاستجواب في التدريس، والاهتمام بهذا الأسلوب يتماشى مع اتجاهات التربية الحديثة في تأكيدها على موقع المتعلم في العملية التربوية كما أشار لشروط عديدة بخصوص الأسئلة التي توجه للمعلم ومنها:

1- أن يسأل المتعلم عن ما لا يدري لأن السؤال عما يدريه سخف وقلة عقل.

2- أن لا يكون فضولياً إذا أجابه المعلم بما فيه كفاية له.

3- إن لم يفهم المتعلم الجواب ليقبل إنه لم يفهم ويستزد.

4- أن يراجع مراجعة العالم بأن يعارض الجواب بما ينقضه نقضاً بيّناً.

5- ألا يسأل المتعلم سؤال المتعنت ومراجعة المكابر².

أما طريقة المناظرة فقد ذكر أنها تفيد في سماع وجهات نظر مختلفة إذ مع اختلاف وجهات النظر مع الأقران يلوح الباطل من الحق³.

(1) المرجع السابق، ص 60.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 411-412.

(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 77.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

المبادئ التربوية المستنبطة من الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي:

1- مبدأ التوجيه والإرشاد التربوي:

حثّ ابن حزم كثيراً على استخدام الموعظة الحسنة، ولين القول دون قهر أو زجر لغرض تحسين سلوك الفرد مشيراً إلى أن النصيحة فرض وديانة وقد وضع شروطاً عديدة لتقديم النصيحة أبرزها:

- 1- أن تكون سرّاً لا جهراً أو بتعريض لا بتصريح إلا لمن لا يفهم.
- 2- أن يكون النصح بكلام لين وبشر وتبسم، لأن خشونة الكلام في النصيحة تنفر فقد قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾¹.
- 3- التدرج في الإرشاد من خلال التنبيه والتذكير، ثم التوبيخ والتقريع ثم الركل، واللطام.

- 4- تكرار النصح، رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ.
- 5- التدرج في أشكال النصح من الوعظ بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يتقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، وأن يتحول بالموعظة خوف الملل².

2- ضرورة وضوح وتبسيط العلم:

التزم ابن حزم بمبدأ الوضوح وطالب غيره به، ويتحقق به أمل كبير للتربية الإسلامية، وهو إذاعة العلم ونشره ففي رسالة "التقريب لحد المنطق" نجد دعوته لتبسيط العلم وحث الأغنياء على توفير المعرفة للراغب بقوله: "فالحظ لمن آثر العلم وعرف فضله، أن يسهله جهده، ويقربه بقدر طاقته، ويحفظه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف

(1) طه: 44.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 364-367.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
به على قوارع طرق المارة ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع
السيارة، بل لو تيسر له أن يهب المال لطلابه لكان ذلك حظاً جزيلاً¹.

3- استخدام المنهج التجريبي:

أكد ابن حزم كثيراً التجارب في أحكامه التي يصدرها في التربية، والأخلاق،
والسياسة، والاجتماع واشترط للتجربة التكرار الكثير الموثوق بدوامه بحيث: "تضطر
النفوس إلى الإقرار به كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقي ثلاث ساعات تحت
الماء مات"، وقد رفض الأفكار والنظريات الخيالية البعيدة عن الحواس لعدم إمكانية
خضوعها للتجريب، منها على سبيل المثال رفضه للتنجيم بصفته علماً، إذ يقول: "لا
يصح القضاء بالنجوم"².

4- الموضوعية في إصدار الأحكام:

أكد ابن حزم على ضرورة أن يتسم التفكير بالموضوعية واعتماد الأدلة والبراهين
للتوصل إلى الأفكار الرئيسة وحذر من أضرار التسرع في الأخذ بالظاهر بقوله: "ينبغي
للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه وكثرة تلومته وتقلبه
وبكائه، فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المتعدي" وخرج من
تجاربه الطويلة بتشديده على كل متكلم ألا يتكلم إلا بعد تفكير وامتحان كما أوصى
الفرد بالحياة التام في كل ما يقرأ أو يسمع، فلا يحكم إلا بعد تجربة وبرهان بقوله: "إذا
ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة

1) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية: مرجع سابق، ص 8.

2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مصدر سابق، (2/38).

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن تتيقن بطلانه ببرهان قاطع، وأيضاً فلا تقبل عليه
إقبال المصدق به المستحسن إياه، قبل علمك بصحته، ببرهان قاطع"¹.

5- مبدأ العمل بالعلم:

يوجب ابن حزم على كل فرد أن يكون عاملاً مفيداً بنفسه وعلمه وماله إذ يقول:
"من أخذ من كل علم ما هو محتاج إليه واستعمل ما علم كما يجب فلا أحد أفضل
منه، لأنه قد حصل على عز النفس وغناها في العاجل وعلى الفوز في الآجل"².
وقد أشار ابن حزم إلى أنه فرض على الناس تعلم الخير والعمل به، فمن جمع
الأمرين جميعاً، فقد استوفى الفضلين معاً، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو خير من
آخر لم يعلمه ولم يعمل به، وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالة فيه وأقل ذماً من آخر
ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه"³.

6- الثقافة العامة والاختصاص في علم:

أشار ابن حزم إلى أن العلم يسود النشاط البشري جميعه ويشمل كل ميادين المعرفة
وأن كل ما علم فهو علم، فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة وتدبير
السفن، وفلاحة الأرض، وعلى كل إنسان أن يكون على نصيب من الثقافة العامة،
سواء كان صانعاً أو طالب علم يريد التخصص فيه، فهناك معلومات عامة ومبادئ
علوم لا بد من الإلمام بها قبل تعلم حرفة أو التطرق إلى فن، وحذر من التفريط فيها أو
الإفراط في التزام علم واحد فيقول في ذلك: "من اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره،
أوشك أن يكون ضحكة وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه، أكثر مما

1) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 205، 412.

2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 89.

3) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 413.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات
أدرك منه لتعلق العلوم بعضها ببعض، ومن طلب الاحتواء على كل علم أو شك أن
ينقطع وينحسر، ولا يحصل على شيء، وكان كالمخضر إلى غير غاية إذ العمر يقصر عن
ذلك وليأخذ من كل علم بنصيب"¹.

7- مراعاة الميول العلمية:

يولي المربون اليوم عناية عظيمة لميل المتعلم إلى فن ما، ووجوب مراعاة هذا الميل
لأن الرغبة حافز كبير في التحصيل بحيث يتعلم من العلوم ما لا غنى عنه في حياة كل
فرد، ويعمل بمقتضى علمه، وحذروا من إهمال هذا الحافز النفسي وقد قرر هذا أيضا
ابن حزم بقوله: " من مال بطبعه إلى علم ما - وإن كان أدنى من غيره - فلا يشغلها
بسواه، فيكون كغارس النارجيل بالأندلس، وكغارس الزيتون بالهند، وكل ذلك لا
ينجب"، كما ذكر أن نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم كإطعامك العسل
والحلوى من به احتراق وحمى، وكتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام
الصفراء"².

من هذا نجد أنه كان لابن حزم آراء في التربية والتعليم تكشف عن سعة أفقه في
فهم طرائق التدريس ومناهج التعليم وهي كثيراً ما تطابق آراء التربية الحديثة في مجال
مراعاة استعدادات المتعلمين وقدراتهم على الفهم وميولهم العلمية.

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 77، 80.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 344.

الفكر التربوي لدى ابن حزم ----- د. صالح سلامة محمود البركات

التوصيات.

في ضوء نتائج البحث يقدم الباحث التوصيات الآتية:

1- أن يركز المتخصصون في مجال التربية على أصول الثقافة العربية الإسلامية وأحوال الأمة العربية المعاصرة وواقع الثقافات العالمية المعاصرة عند تناول أي تطوير للعملية التربوية.

2- أن تقوم المؤسسات التربوية بإدخال: " أعلام الفكر التربوي العربي الإسلامي" كمادة دراسية في المناهج التعليمية ولمختلف مراحل التعليم .

3- إجراء دراسات لبناء الفلسفة التربوية العربية الإسلامية التي ينبغي أن توجه وتقود العملية التربوية.

